

2 - شرآام الشعر وحضور النص الغائب

إنّ مفهوم التناص مفهوم يصعب تحديده، وهو كباقي المفهومات يخضع للمنطق الفكري لكل محدد له من النقاد والدارسين، والذين أجمعوا على تغييب صاحب النص، والاحتفال بالنص ولا شيء غير النص. وأغلب هؤلاء انطلقوا من أنّ التناص هو حوار النصوص فيما بينها. وقد نقل محمد مفتاح (1) بعض التعاريف لهذا المفهوم منها:

- إنه فسيفساء من نصوص أخرى وأدمجت فيه بتقنيات مختلفة.
- أو إنه ممتص لها يجعلها من عندياته ويتصيرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده.
- أو محمول لها يتمطيها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها أو بهدف تعضيدها.

ويبدو مما سبق، أن هذا المفهوم يطرح إشكالاً، خاصة إذا ما كشفنا عن تجلياته في نصوص تراثية، فهل عندما نرفض مبدأ السرقات الأدبية، ونقبل بالتناص بديلاً لها، لا نكون قد قمنا بعملية تبييض النصوص التي سرقت، أو تلك التي سطا عليها المبدع تحت أي غطاء، ونزعم أن مثل هذا الفعل هو تحرير للعملية الإبداعية في إنتاج نصوص ذات أسانيد مرجعية مختلفة.

وفي المقابل إن نحن رفضنا التناص، وعملية إسقاطه على نقود أولئك الدارسين لا نكون قد قمنا بدور القامع للنشاط الإبداعي، ومنعنا المبدع من السفر في فضاء النصوص الأدبية، وبترنا ذلك الوصل الذي يربط المبدع حديثاً بسنده المرجعي، وكذا تفاعل النصوص فيما بينها.

ويصبح الاهتمام بهذه القضية أمراً مهماً للخروج من هذا الإشكال، إذ يجب ربط كل نشاط إبداعي مماثل بعملية الوعي واللاوعي سواء عند المبدع أم الناقد، أي هل حضر النص وحده، أو أحضره المبدع عنوة، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون حين ربط الإبداع بتناسي المخزون الأدبي الوفير (2) العمليات، دون أن يضر ذلك بقدرته الإبداعية في إيجاد علاقات لغوية جديدة تعبر عن